نـافـذة

عبادات ومعابد

كنس وكنائس ومساجد تتناغم بقوة حرية العبادة، تبثّ في داخلها القيم الأخلاقية والعقائد الروحية بما تملكه من إيمان صادق ومهم بالكلمة الطيبة والنصيحة الخالصة والعظات الصالحة، لإفادة الإنسان بكليته، وفي الكنائس كما هو الحال في المساجد، تتصاعد التراتيل والابتهالات والأناشيد والمدائح، لتنساب في قلوب المؤمنين آخذةً بها إلى عمق الجوهر، تنقّيه مما تراكم به من أحزان وأوهام وأكدار نتاج ظروف كل امرئ، وأيضاً من الأهواء الجامحة المخلة بالصورة الكلية التي أريد للإنسان أن يكون عليها.

نحن في هذا الوطن –مسلمين ومسيحيين ومعتنقي ديانات معروفة وغير معروفة– نعلي الصوت، ونقول: إننا سوريو الهوية ومؤمنون بالله والعروبة، وإيماننا –ما دمنا على جغرافيتها– قوي ومتين، لأنه من المبتدأ وإلى ما سيأتي من الزمن، يتجه إلى الحياة، هذا الإيمان ليس وليد هذه الأيام، إنما تراكم تاريخي يفعله ويتمسك به سكانها منذ آلاف السنين، لأن هذه الأرض المقدسة باركها الرب، وجعلها موطن القداسة والقديسين والأولياء والأئمة الصالحين، ولم يتدخل رجال الدين، مسيحيين كانوا أم مسلمين في شؤون بعضهم؛ بل سعوا إلى التكامل في المعرفة وتأكيد تعزيز نشر الفضيلة والأخلاق، ومن خلالهم يمكننا أن نرى أنّ المسيحية والإسلام نهلا من منبع رباني واحد، غايتهما الأولى والأخيرة تخليص البشرية من آثامها والأخذ بيدها إلى البناء والإعمار معززين ثقافة الحب والسلام.

أسأل: متى نمتلك أو نعود إلى ذاك الفكر الإنساني الذي جمع وبعدها لم لكي نتخلص من الرأي السلبي الفردي، ونؤمن بأن الواحد امتلك طبيعتي المادي واللا مادي؟ كيف بنا نصل إلى معادلة هذه المعادلة ونتيجتها المفيدة لاستمرارنا؟ وإلا فسيبقى هذا الصراع الذي لا يريده، وأؤكد هذا، لأن الرب الإله يريد بالحب خيرنا المؤكد منه لا شرنا نصنعه في عقولنا ونرمي به بعضنا.

في إسبانيا كانت ومازالت كنيسة حولها المسلمون في عهدهم إلى مسجد، وبعد انتهاء حكمهم عادت إلى كنيسة، إلا أن المفارقة النادرة تكمن في أن اسمها الآن كاتدرائية مسجد قرطبة المدرجة في مواقع التراث العالمي، لتداخل فن العمارة بين الديانتين، ومن ضمن تراثها وجود مؤذن مازال يحضر بالزي الأندلسي القديم، ويرفع الأذان يومياً حتى أثناء الأوقات التي يصلي فيها المسيحيون في لحظتها، يلتزم الجميع الصمت ضمن منظر مهيب إلى أن ينتهي المؤذن، ثم يتابعون أداء صلواتهم وترانيمهم، وهذا أيضاً كان مع بدايات الحكم الأموي في دمشق، حيث كنيسة يوحنا المعمدان التي تحولت إلى المسجد الكبير (الأموي)، وبها كان يصلي المسيحيون والمسلمون، ينتظر بعضهم بعضاً، ينتهي الأول ليدخل الثاني، والعكس ينطبق تماماً على ذلك.

لن نتخلى عن بعضنا الإنساني المتطابق في الجوهر من حيث الأجزاء والدماء والألوان والبويضات والنطاف، ولا عن أشكالنا المادية الظاهرة المكتسية ألوان حرارة متدرجة بين الأبيض والأسود، التي منها استمددنا بناء الجوهر الذي عكسناه على المظهر، فقبل أبرام أبراهام إبراهيم عليه السلام، كانت الآلهة أنثى، حيث إن المعابد كان لها قبة رئيسة وتمثل البطن الحامل، وقباب محيطة، أخذت من تكور النهدين، ولم يكن لها أبراج أو مآذن، وكان يكتفى فقط بالتماثيل التي يطلق عليها الآلهة الأنثى، ومع أبرام أخذت شكلاً آخر، بعد أن قام برمي الأصنام والأوثان، واتجه لبناء فلسفة التأمل وصولاً إلى الإله، ومعه بدأت تتطور المعابد من الزقورات وصولاً لأشكالها الحالية التي أظهرت الأبراج والمآذن التي أخذت من ذكورة الإنسان فظهر تكوين المعبد كما هو حال تكوين الإنسان بجزأيه وفعلتها، كما يفعل الرجل بمنحه الاستمرار من تداخله مع الأنثى، وكان ذلك عندما استدعى سليمان الحكيم المعماري البنّاء آبي حيرام، ليبني الهيكل، الذي أخذه من شكل الإنسان، وانساب بعد تنوعها وتنوع الديانات التي امتلكت جوهراً واحداً المعابد والكنس والكنائس والمساجد.

هلا تأملتم الشكل الإنساني؟ ألا يمثل أهم دار عبادة بكامل أبعاده، وأن الدخول يتم من الباب بشكل مستقيم إلى المذبح أو المحراب؟ فهكذا يكون شكل الإنسان من القدمين إلى الرأس مروراً بأعضائه وأهمها ذكورته، وأن الأبراج والمآذن تتشابه في عموديتها التي تصدح بالإيمان مع ما ينساب من الإنسان وتقاطعاته الأفقية والعمودية من أجل الاستمرار والتكاثر والحب ونتاجاته التي تعمر الأرض.

ماذا فعلت أساطير الأولين وإبداعاتهم التي تحكم جوهر البشرية، تحاكمنا كيفما اتجهنا، وتدعنا نتمرد عليها، فتسقط في الخطيئة، لتأخذ بنا إلى الثواب والعقاب، ومن ثم إلى السجود التاريخي الذي انتهج حمل سمة الأرثوذكسية، وتعني الاستقامة، حيث بدأت من الموسوية، وتعمّقت في المسيحية، ومايزها الإسلام عبر حركة الركوع، لا من أجل إحداث الاختلاف، بل من أجل تفعيل مثلث القداسة الذي أحكمه ذاك الإنسان القديم، من دون قدرة الإنسان الحديث، مهما بلغ من شأن على تغيير ثوابته أو الانحراف عنها.

هل علم الإنسان أنه المعبد، وفي داخله يسكن المعبود، وأنه في الوقت ذاته العابد؟ إنه يزوره، يتعبده بإيمانه الكلي أو الجزئي أولاً، غادره نتاج تفوق شره، حيث يطالبه بإصلاح ذاته، كي يعود، يأخذ موقفاً منه، ينقلب عليه بخيره أو شره، وبما أن جوهره لا مادي، كان لا بد من بناء صورة مادية مختلفة، لأن الاختلاف ضرورة، والمسايرة أو التوافق الدائم يؤدي إلى الملل والخضوع الأعمى وفقدان البصيرة، إذاً جميع هذه الأماكن تحمل هدفاً واحداً، يتجلى في بناء الإنسان أخلاقياً وروحياً، ومديروها يتحملون مسؤوليات جساماً، تنبع من هذه الروحانيات التي يبثونها في النفس، يعززون الحزم، ويحفزون العزم، ويحذرون من اليأس والقنوط، ويملؤون المشاعر بالواجبات تجاه إخوتهم وأبناء شعبهم، ويزيدون الثقة بالله، وجميع هذه الصفات يتبناها أبناء أمتنا كما هو حال الأمم، لأن فيها سحر الحياة وترانيمها مع ما ترسله موشحاتها وأناشيدها المؤثرة، فأصوات مآذنها ونواقيس كنائسها تبهج الأرواح، تولد الوئام، وتمنح الطمأنينة التي تحضر من إشاراتها المسالمة والداعية دائماً للسلام.

لِمَ كانت العبادات؟ ومن أجل ماذا بنيت كل هذه المعابد على وجه الأرض الحية بأنواعها وأقسامها وأشكالها المعمارية واختلاف مديريها وأئمتها وكهنوتها؟ أليست النتيجة تحمل هدفاً واحداً، مهما تعددت الألسنة، واختلفت أشكالنا البشرية، وتنوعت مناطقنا الجغرافية؟

هذا الشرق حامل الفخامة ومنتجها يدعوكم بعد أن أنجز لعالمنا الكبير الفكر الديني وتنوعاته وطوائفه ومذاهبه لتدبر حياتنا الدنيا، لأنها الهم والأهم، والأديان تحكم أحلام الآخرة، لنذهب عاقدين العزم على الإجماع المؤمن بحقيقة وجودنا وأحقيته لنعزز مفهوم العروبة، ولنعلي شأن الوطن، ونعمل على صونه وصون كرامته التي تكون منها كرامتنا.

دعونا نبتعد عن التظاهر بالحوارات الدينية، لأنها مشاريع تخادع وتكاذب، نحن من نصنع جحيمنا وعذاباتنا، فالكلي السرمدي أوجدنا بالحب، ومن أجل الحب اتفقنا على تعبده أو اختلفنا، فهو لا يضره، لأنه محيط، والكبير لا يزعل من مراوغات الصغار.

أقدموا على الحياة، فالخوف من الخوف موت، والاتجاه إلى الحياة حياة، والدين دَين حيثما يظهر للناس، وعندما أخفيه أخفي وجودي وعبادتي، خاصيتي أتجه بها إلى المعبود المقيم في جوهري معبدي، أياً كان شكله أو رمزه الذي يشير عليه، ولنؤمن بأن التعب في الحياة ممتع وجميل، وأن الوقت ثمين، وأن علينا شراءه، والشرف في العلم لا في الجهل الواقع في الأجساد، وأن الأديان تحكم الأحلام في الحيوات الثانوية أو الأخروية أو الآخرة، وأن الحكام يحكمون الواقع بالواقعية المنطقية.. هلا تأملنا وتفكرنا وعملنا؟

د. نبيل طعمة

أحاول دعم الأطفال من خلال مبادرة «رسمة وبسمة»

مي أبو جيب لـ«الوطن»: لديّ التزام أخلاقي ووطني تجاه الطفل السوري الخارج من الأزمة

سوسن صيداوي

في شخصها وطباعها وحتى في عذوبة صوتها الكثير من الصفات الطفولية، ورغم أنها فنانة تشكيلية وكاتبة وعازفة ولكنها لا تفضّل أن تتحدث عن نفسها– أمر لا تجيده– بل تفضّل أن تكون أعمالها هي من تُخبر عن اسمها، إنها الفنانة التشكيلية مي أبو جيب، عانق الطفل روحها ليكون موضوعا مهما تنطلق منه نحو الجمال والإبداع، مستفيدة من الخبرات الأجنبية لتنشر وعيا وثقافة جديدة وهي أن الفن يجب أن يرعى الجمال ويهذّب النفس من كل قبح نفسي وفكري وحتى عاطفي تعززه ظروف المجتمع القاسية. من البدايات– ومنذ زمن طويل مضى– في مشوارها الإبداعي قدمت العديد من المعارض الفردية واليوم تتابع دراستها–هي مجازة في الأدب الفرنسي من جامعة دمشق–في مجال العلاج بالفن وتحضّر لماجستير في علم الجمال. تجدر الإشارة إلى أنها في عام ٢٠٠٨ أصدرت كتاب «حلمي الصغير» وهو عبارة عن قصائد للأطفال، بخمس لغات وفيه رسومات، والقصيدة التي باللغة العربية قام بتلحينها الياس الرحباني، وذهب جزء من مبيع الكتاب لجمعية «بسمة» لدعم الأطفال المصابين بالسرطان، إضافة إلى الكثير من الإصدارات الأخرى المخصصة للأطفال. أما اليوم فهي تقف متابعة في رسالتها من خلال مبادرة «رسمة وبسمة» مع أختها الفنانة التشكيلية ماسة أبو جيب، وهذه المبادرة منبثقة عن مبادرتها الأولى العلاج بالفن التي من خلالها قدمت المساعدة للعديد من الأطفال واليافعين والمرضى والمتضررين من الحرب. أما اليوم فتتضامن مع الزمن وتحضّر لمشروع كتاب مخصص للأطفال أيضاً وموضوعه قصص ما قبل النوم وسيكون بثلاث لغات. عن أهمية اللون وأهمية الكلمة وأهمية نشر الوعي من خلالهما، تحدثنا الفنانة التشكيلية مي أبو جيب في حوارنا معها.

> الأعمال المخصصة للأطفال سهلة ممتعة لهذا أضع نفسي مكانهم وأفكر بطريقتهم

• بداية حدثينا عن علاقتك بالرسم والألوان ومتى بدأت هذه العلاقة وكيف تطورت؟

أول ما نفتح أعيننا، نرى ألوان الطبيعة والأشكال المحيطة بنا، هذا ويمكننا القول إن لكل لون مقاماً في النفس مثل المقامات الموسيقية إضافة إلى الكلمات التي هي مقامات الروح. بدأت علاقتي مع الألوان منذ الصغر، وكان يستهويني الرسم بالألوان المائية لأنها تتناسب مع طبيعتي الحساسة والشفافة، وأهلي كانوا وما زالوا من أوائل المشجعين لي، ومنهم ترسخت ثقافتي وإدراكي لحقيقة أن الفن ليس ذوقاً وجمالاً فحسب، وإنما رسالة إنسانية لها عالميتها التي نتفاهم من خلالها مع الجميع ولو كانوا مختلفين عنا. الأعمال التي أعمل بها تشبه روحي والأمر معكوس على الألوان التي استعملها وفي طريقة استخدامها، فمثلاً عندما كنت أعمل بالألوان الزيتية، لم أكن أسمّك الألوان كي تظهر للمتلقي شفافة ومريحة وتعكس– بحسب رأيهم طبعاً– نوعاً من الراحة لهم، هذا وأيضاً أنا أستخدم بشكل كبير اللون الأزرق الذي هو رمز للسلام، صحيح أنه لون صعب– بشهادة الكثير من الفنانين– والأغلب يبتعد عن التعامل معه، كما أنه معروف عنه أنه من الألوان الباردة، ولكنني أعمل عليه وأقدمه بطريقة دافئة بين الألوان الأخرى في العمل، وهنا أحب أن أضيف إنني أفضل العمل على الأحجام الصغيرة عن الكبيرة على الرغم مما تتطلبه من التركيز والدقة.

• ماذا عن تفاعل اللون مع الكلمة وتأثيره البصري والنفسي على المتلقي وخصوصاً الطفل؟

في الحقيقة لكل كلمة تأثيرها المختلف في النفس، ويأتي تفاعل الرسم مع الكلمة ليعطي المتلقي نوعا من التكامل. حاليا سأقدم للطفل عبر الكلمة واللون دليلا لفهم معنى السلام والمواطنة الصالحة بتعلم لغة الحوار بشكل فني يلفت الانتباه.

• للطفل حيز مهم في إنتاجك الإبداعي.. اليوم إلى أي مدى أنت معنية بالطفل السوري الخارج من الأزمة.. سواء من حيث الرسم أم التأليف؟

للطفل بصورة عامة مكانة خاصة في قلبي، وقد قال غاندي ذات يوم لا نستطيع إرساء قواعد السلام ومحاربة الحرب إلا من خلال الطفل، فهو الأمل وهو المستقبل. أما الطفل السوري الخارج من الأزمة، فلديّ تجاهه التزام أخلاقي ووطني لذلك أحاول دعم الأطفال من خلال مبادرة»رسمة وبسمة»مع أختي الفنانة التشكيلية ماسة أبو جيب، وهذه المباردرة منبثقة عن مبادرتنا الأولى العلاج بالفن وعملنا من خلالها مع العديد من الأطفال واليافعين والمرضى والمتضررين من الحرب. بصراحة ما يهمني فيما أصدره من أعمال أنني أعمل على استعادة براءة الطفل التي فقدها بسبب الظروف الجائرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب ما يتابعه من المسلسلات والبرامج الكرتونية التي فيها كمية كبيرة من العنف والقباحة، وكأن هناك توجهاً لعلم القباحة إن صح التعبير. كما أحب أن أوجه في أعمالي رسائل إنسانية وأبعث مشاعر الأمل والشعور بالفرح بشكل غير مباشر من خلال رسومات فيها مزج ألوان مريحة وجذابة. كما يعنيني كثيرا وأركز على الأمور الإيجابية كي نستطيع مساعدة الطفل لبناء تطلعاته الخاصة المفعمة بالأمل، فبشكل مختصر أنا أضع نفسي في مكان الطفل، وبصراحة هو أمر من السهل الممتنع، أحاول أن أفكر بطريقته واستهوي ما هو يستهويه.

• في العام الماضي كنت ضمن ورشة صناعة دمى الأطفال، ماذا قدمت لك هذه التجربة، وبرأيك إلى ماذا يحتاج مسرح الدمى كي يكون فاعلا أكثر(سواء من حيث الدمى أو النص)؟

لدمى العرائس مكانة كبيرة في قلبي، فعندما كنا صغارا كانت والدتي دائما تأخذنا إلى مسرح العرائس، حتى إنها كانت تستغل أبسط الأمور الموجودة في المنزل لتخلق دمية قماشية تحاورنا وتخبرنا القصص من خلالها أثناء اللعب. إذاً انطلاقاً من تجربتنا الشخصية أولاً وبعدها مما تابعته، أشير إلى أن الدمى وسيلة فعالة في معالجة الكثير من المشكلات النفسية عند الأطفال، وأهمها موضوع الخجل، فمن خلال الدمية التي يلعب بها أو يسمع القصة التي تحدثه عنها، ينطلق ويتجرأ ويبدأ بالبوح والتعبير بداية ثم إلى تصرفات أخرى. وأضيف هنا إن العلاج بالدمى يندرج تحت إطار العلاج بالفن، ومثله مثل العلاج بالكتابة وبالرسم والألوان، وكلّها فاعلة ومؤثرة جداً إن تم توظيفها بالشكل الصحيح في شخصية الطفل. وأختم في السؤال بالنقطة التالية وهي بأن مسرح الدمى يحتاج كي يكون فاعلا أكثر من سواه إلى النص الناضج، فالدمى ليست أدوات تسلية فحسب بل هي بمنزلة المرشد أو المربي للطفل بطريقة غير مباشرة.

• أشرت أعلاه إلى أن ما يخصص للطفل هو من السهل الممتنع... ونضيف إنه يتطلب جهدا ووقتا ومسؤولية ألهذا استغرق منك كتابك الصادر عام ٢٠٠٨ «حلمي الصغير» ثلاث سنوات؟

لا ينبغي الاستهانة بعقل الطفل، فالأطفال أكثر ذكاء ونضجا مما نعتقد، لذلك يجب أن تكون الأعمال المقدمة لهم ذكية وناضجة كي ترقى إلى مستوى تفكيرهم وتتماشى مع متطلباتهم. وبالنسبة للشق الثاني من السؤال.. الأمر ليس معقدا بل هي مسألة التزام أدبي واحترام للطفولة، والتركيز على براءتها عبر جعل الطفل يشارك في العمل ويتفاعل معه، فالتفاعل أهم من مجرد الانفعال، كما أنّ لغة التحاور معه وتحفيز خياله أفضل من أسلوب التلقين.

• الانترنت والتكنولوجيا من العوامل التي أبعدت الطفل عن بساطة التعبير سواء بالتأليف أو بالرسم واللون.. برأيك ماذا علينا أن نفعل لنجنب أطفالنا هذا الانجراف؟

يجب أن تلفت نظرهم إلى الكتاب الذي يشدهم بذكاء العبارة وجمال الرسوم، فهذا الجيل لا يمكن الاستهانة بقدراته. صحيح أن الانترنت باتت ضرورة أساسية في حياتنا، ولكن يجب ألا تطغى على الإحساس والابداع، وللأهل دور مهم في محاولة تنظيم أوقات أطفالهم في استخدام التكنولوجيا.

• برأيك قصة قبل النوم إلى أي مدى تكمن أهميتها في تفعيل الدور التربوي وتنمية الخيال عند الأطفال؟

قبل أن يغفو الطفل ليلا، يجب أن نقرأ له قصة تجعله يتخلص من همومه اليومية، وأن يسرح بخياله ليشعر بالأمن والأمان كي يستقبل اليوم التالي بهمة ونشاط وتفاؤل، كما أنها تغني للطفل مخزونه اللغوي إضافة إلى المخزون الخيالي، حتى إنها قادرة على تنمية مداركه ومساعدته على الحلم وحتى التخطيط ووضع أهداف تبدأ من تكوين شخصيته وماذا سيصبح في المستقبل، والقصة من الأمور التي يعتمد عليها الغرب اليوم بالعلاج مثلها مثل التلوين والرسم وكذلك العلاج بالدمى.

• في الختام حدثينا عن مشاريعك الحالية؟

في الوقت الحالي نتابع بمبادرة «رسمة وبسمة» في محاولة لتقديم المساعدة قدر المستطاع كما أسلفت للعديد من الأطفال واليافعين والمرضى والمتضررين من الحرب. كما أقوم بالتحضير لمشروع كتاب مخصص للأطفال، موضوعه قصص ما قبل النوم وسيكون بثلاث لغات.

ظل لصيف العاج.. وعصام خليل

الوطن

صدر في دمشق ديوان شعري جديد للشاعر عصام خليل يحمل عنوان (ظل لصيف العاج) يضم قصائده التي نظمها في السنوات الأخيرة، وفيها يعود الشاعر إلى هاجسه الشعري الذي انطلق منه، ويقدم قصائد ذات أبعاد وطنية، وأخرى تتعلق بالحرب التي جرت، وقصائد في أصدقاء فجع بهم في أثناء الحرب، وإن لم يشر إليهم بالاسم فذاك لأنه أراد أن يقدم فجيعة الوطن بأبنائه، فحوّل الفجيعة بالفرد إلى فجيعة وطن، وتحت عنوان بشير الغمام يقول:

يالحزن الفرات!
حين يغتابه المحل في ضفة
لا تجيد النبات!
منذ غادر صقر قريش عذوبته،
لهثت موجة في السهول
ترقرق أحزانها،
وتهيل الحنين إلى تربة
غادرتها الحياة
ليختم بنبرة متفائلة
سوف تنهض من روحه الأرض
واضحة كالمصير ويداها على حضنها
تحملان البشير
غيمة للفرات
سوف يأتي الفرات
وفي الجانب الوجداني يهدي الشاعر المرأة التي نصفها من

عصام خليل

هديل اليمام وباقي عذوبتها في المقام قصائد عذبة فيها من عمق الشعور والإحساس:
لماذا تجيئين بعد المواعيد دوماً
كأني نذرت لجمر انتظارك؟!
كأني أحوش عنقود عمري
نبيذاً أليفاً
يقطر نشوته في جرارك
أنا الرمل، ناطور مائك
مأوى بحارك!
أنا في الجهات جهاتك
أحمل شمسين تستقبلان
شروق مدارك

ويمضي الشاعر إلى القصيدة التي تكتنز الرائحة والملاذ والذات، ليقدم نفثات تعبر عن عمق ما يجول في خاطره الذي قد لا يجد فسحة في غير قصيدة وصورة، والمشاعر الطافحة تبدو في الحديث إلى أم، وما يقوم الشاعر بتحميلها من رسائل، وفي هذه القصيدة الختام المزيد من الألم لذا أختم بما كتبه (أمي)

لرائحة الحزن في بيتنا
للرصيف الذي يتفقد قلبي مساء
ويجلس منتظراً موعداً
لا يجيء
لحضن شقي تعوَّد
أن الحياة تمر مباهجها من بعيد
ولكنها لا تفيء!
لما شاب من عمرها
بين طفل وطفل
سأقطف تنهيدة من عذاب إله
أكورها في السماء القليلة
ثم أصب عليها السواقي
وحين تفيق الحياة من النوم
يغسلها بالصباحات
وجه بريء

(ظل لصيف العاج) مجموعة شعرية جديدة للشاعر عصام خليل تعمد إلى الصورة والبعد عن الخطابية والمباشرة، لتدخل في عمق الشاعر ولوعته أو فرحته أو عشقه، وما بينها تشتد حرارة الشعر، ويبدو الظل أكثر ارتساماً.